العامية الليبية

من فصحى تدرَّجت إلى دارجة تفصَّحت *

للأستاذ الدكتور علي فهمي خشيم

يروي العبدري [1] في (رحلتـــه) عند مروره بالإقليم الشرقي من ليبيا : (وعرب برقة اليوم من أفصح عـرب رأينـــاهم، وعـــرب الحجـــاز أيضًـــا فصحاء، ولكن عرب برقة لـــم يكـــثر ورود الناس عليهم فلم يختلط كلامـــهم بغيره، وهم الآن على عربيتـــهم، لـــم يفسد من كلامهم إلا القليل، ولا يخلون من الإعـــراب إلا مـــا لا قـــدر لـــه بالإضافة إلى مايعربون) .

ويذكر ما حدث له :

(سألت بدويًا لقيتـــه يســـقي إبلـــه بالحصوى[2] عن ماء يقال له أبو شمال هل نمر عليه -وذكرته بـــالواو فـــي موضع الخفض على عادة أهل الغرب (المغرب) فقال لي : نعم .. تطـــؤون أبا شمال . وأثبت النون فـــي الفعـــل ونصب المفعول، وليس فـــي الغـــرب "المغـــرب" عربـــي "أعرابـــي" ولا حضري يفعل ذلك).

ويضيف :

"مررنا بأطفال منهم يلعبون فقال لنـــا واحد منهم: ياحجّاج ! معكـــم شـــيء تبيعونه؟ وأثبت النون وســـكّن الـــهاء للوقف"..

وأيضًا :

---

*ألقى هذا البحث فى الجلسة الرابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأربعـــاء ٢٢ من ذى القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٠من مارس (آذار) سنة ١٩٩٩م.

(١) محمد العبدري البلنسي . قام برحلته حاجًّا من حاحة بالمغرب الأقصى سنة ٦٨٨هـــ . طبع قسم منها في الجزائر بتحقيق الأستاذ أحمد بن حدّو- دون تاريخ. والمرجع هنا: ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، إعداد وتصنيف: د.محمد يوسف نجم ود. إحسان عباس. دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي ١٩٦٨م ص ١١ - ١١٢.

(٢) اسم موقع .

(ورأيت أعرابيًّا منهم قد ألحت عليه امرأة تسأله من طعام معه، فقال لها : والله ما تذوقينه ! فأتى بضمير المخاطبة على وجهه، وأثبت النون وسكّن الهاء)..هذا عن الإعراب عند الأعراب في برقة. أما عن الألفاظ فيحكي العبدري:

(سمعت شخصًا ينشد في الركب مكتري رحالة (راحلة ؟): من يكري زاملة؟ فسمعه بدوي فقال له : أعندك الزاملة ؟ فقال :نعم . قال : فلا تقل؛ من يكري . وقل ؛ من يستكري) .

ويقول :

(وأما نادر ألفاظ اللغة وماجرت عادة أهل الغرب بتفسيره فهم حتى الآن يتحاورون به على سجيتهم . فمن ذلك أن شخصًا منهم وقف عليَّ بموضع نزولي من محل الركب، وكانت الترعة منه بعيدة، فقال لي: يا سيدي! تدعني أظهر؟ يعني: أخرج. وسألت شخصًا منهم عن الطريق فقال لي:إذا ظهرتم من الغابة فخذوا صوب كذا -يعني : إذا خرجتم منها[1] ... وسمعت صبيًّا منهم ينادي في الركب: ياحجاج! من يشتري الصفيف؟ فلم يفهم منه أكثر الناس، فقلت له: اللحم معك ؟ فقال: نعم. وأبرز لحم ظبي مقدد[2] ...

وسألت شخصًا عن ماء؛ هل هو معين؟ فقال لي: هو غدق[3] هذا اللفظ فسره أبو عبيد في (غريبه)..وسمعت آخر، وقد ازدحم الناس في مضيق، وهو يقول : تنحوا عن الدرب)...

(١) يعلق:"هذا اللفظ قد أكثر فيه أهل المغرب في تفسير قول عروة بن الزبير(رضى الله عنه): لقد حدثتني عائشة (رضى الله عنها) زوج الرسول(صلى الله عليه وسلم) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر، وأتوا عليه بشواهد وأمثال ".

(٢) يعلق على كلمة (الصفيف):"وهذا اللفظ قد ذكره مالك [ابن أنس]رضى الله عنه في (الموطأ) فقال بإثر الحديث: قال مالك (رضى الله عنه)؛ والصفيف القديم".

(٣) ويعلق :" هذا اللفظ فسره أبو عبيد في (غريبه)".

وفي (اللسان): المعين؛الماء الظاهر الجاري من عين أو منبع. والغَدَق ماء المطر الكثير العام.

ويختتم بتعليقه :

(وما يتكلمون به من الغريب أكثر من أن يحصى) ..

كانت هذه الملاحظات التي أبداها العبدري أواخر القرن السابع الهجري. غير أن بدو برقة اليوم، مثلهم مثل سائر البدو في ليبيا، لم يعودوا يعربون ولا يثبتون نون المخاطب الجمع أو المؤنث في الأفعال [1]. وما نظن أحدًا منهم يعرف الصفيف أو الغدق أو المعين، وإن كانت (ظهر) بمعنى (خرج) و(صوب) بمعنى (جهة ، ناحية) لا تزالان مستعملتين.[2]

ولا ريب في أن(فصاحة) أعراب برقة يومذاك قياسًا بـ(عامية) المغرب راجعة ، كما لاحظ الرحالة ذاته ، إلى أنه (لم يكثر ورود الناس عليهم ، فلم يختلط كلامهم بغيره) ، فقد كانوا يحيون في عزلة شبه كاملة تكتنفهم الصحراء من شرق وغرب وجنوب

(١)نلاحظ أن هذه النون موجودة الآن في لهجة عرب الخليج، بالإضافة إليها عند الإسناد إلى جمع المذكر الغائب. أما إسنادها إلى جمع المؤنث في الفعل فلا تزال في ليبيا (مصراته وما شرقها) فى حين أن هذا الجمع يعامل معاملة جمع المذكر في طرابلس وما حولها، كما هو الحال في مصر .

(٢) بقية من غريب اللفظ موجودة حتى اليوم لدى بدو منطقة الجبل الأخضر وطبرق .

إذ يقول البدوي لصاحبه يدعوه إلى الجلوس :" طنن ع الديسة يارا " أي : اجلس على الحصيرة يا رجل ! وفي مادة "طنا " في (اللسان): أطنى إذا مال إلى الطنى وهو البساط فنام عليه كسلاً. والأ رجح أن فعل الأمر عند البدو [طنن] أصله " اطنِ) أما "الديسة" بمعنى الحصيرة فإن تسميتها راجعة إلى أنها تعمل من نبات ينمو على أطراف المستنقعات يدعى "الديس " وأما " يارا" بمعنى " يارجل " فمن القطع المعروف عند بعض قبائل العرب .

وفي صبا الكاتب كان يسمع أحياناً ألفاظا فصيحة جدًّا تجرى على ألسنة العامة، والنسوة بصورة خاصة، في بلدته مصراته (٢٠٠ كليو متر شرقي طرابلس العاصمة)من مثل القول: عيت (عائلة) فلان جو (جاءوا)بقضهم وقضيضهم . وتنطق القاف هنا معقودة، أو القول : وقعد (أي :ظل)هذا ديدانه (ديدنه -أي دأبه). غير أن هذه المفردات وأمثالها اختفت، أو كادت أن تختفي من الاستعمال الآن؛ إذ يستعمل تعبير "كلهم" بدلاً من "قضهم وقضيضهم " وكلمة مدادم بدلاً من ديدنه .. (ديدانة في النطق اللهجي بمد الدال الثانية).=

والبحر من شمال. وهكذا ظلوا (على عربيتهم، لم يفسد من كلامهم إلا القليل، ولايخلون من الإعراب إلا ما لاقدر له بالإضافة إلى مايعربون).

هذا الواقع من فصاحة البدو الأميين بسبب العزلة تقابله عامية الحضر حتى عند المتعلمين منهم، بل عند خاصة المتعلمين ، في المدن التي تعرضت لاختلاط أهلها بالأجانب بسبب الغزو والاحتلال أو عن طريق المعاملات التجارية ، وإذا لم يكن بين أيدينا مصادر تتحدث في هذا المجال في العصر الذي كتب فيه العبدري للمقارنة، فإن لنا مثلاً في (يوميات) حسن الفقيه حسن(*) الذي كان يسجل (يومياته)مدة أربعين عامًا في عهد حاكم طرابلس يوسف باشا القرمانلي منذ نحو مئتى عام، ويعتبر من خلصاء الحاكم وصفوة المتعلمين يومذاك. فقد كانت لغته خليطًا من الدارجة الممعنة في عاميتها، وكثير جدًا من الألفاظ الأعجمية ، كلها أو جلها ، في حاجة إلى شرح للقارئ اليوم، بل للقارئ الليبي وإن كان طرابلسيًّا قحّا ، إذ

= مع هذا تظل ألفاظ فصيحة تبدو عند الوهلة الأولى غريبة على السمع فلا تفهم إلا بإرجاعها إلى أصلها الفصيح . مثال ذلك الفعل "يستغابط" بمعنى : يسارع إلى . وهي ذاتها الفصيحة "يستبق" أبدلت القاف غينًا وقلبت قلبا مكانيًا بإسباق الغين (القاف)الباء ومدت، وزيدت الطاء.
ونسمع تعبيرًا مثل : (أمحيش) بإمالة الياء وأصله فى العربية (من حيث)
وكذلك " اشحنه" وعربيته " حيث إن" وهناك "شنو/اشنوه" (أي شيء هو) ، و " علاش / عليش" (على أي شيء)،" ليش " (لأى شيء) وغيرها،هذا كثير مما له نظائر في اللهجات العربية الأخرى .
وهكذا تمكن متابعة الفصيح الذى ظل فصيحًا أوأصابه اللحن أو جرت عليه قوانين الإبدال والقلب المكاني .. إلخ .

(*) نشر مركز الجهاد للدراسات التاريخية الجزء الأول منها باسم (الحوليات الليبية) تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر ١٩٨٤م وحسن الفقيه حسن (١٧٨٠ - ١٨٦٦) هو الجد الثاني للأستاذ علي الفقيه حسن الذي كان عضو مجمعي اللغة العربية في القاهرة ودمشق وتوفى سنة ١٩٨٠ م .

يستعصى عليه فهم الكثير من الألفاظ والجمل إلا ببيان دلالتها في ذلك الزمان [1] .

من المؤكد أن جملة أسباب أدت إلى انحدار الدارجة الليبية إلى العامية وكثرة الدخيل فيها، من بينها توالى غزو البلاد من قبل القوى الأجنبية واحتلالها مرات كثيرة وتنوع هذا الاحتلال مما ترك الأثر الكبير في تنوع الدخيل، ثم فقر البلاد الذى ساعد على رسوخه القتال الضاري بين أهلها والغازين أو فيما بينهم أنفسهم مما أدى إلى إهمال مصادر الحياة المستقرة من زراعة وصناعة، وكانت النتيجة إهمال التعليم وانتشار الأمية والجهل حتى أصبح القارئون قلة يعدون على أصابع اليد في البلدة الواحدة أحيانًا. ويقدم لنا الرحالة المغاربة بالذات الذين كانوا يسجلون ملاحظاتهم في رحلاتهم صوراً قاتمة عن مدى التخلف الذي مرت به البلاد على مدى قرون من الزمان ، وعن المستوى العلمي والثقافي ، وتبعًا لذلك المستوى اللغوي[2]. ويذكر العياشي[3] أنه زار زاوية الشيخ أحمد زروق[4] في بلدة مصراته (وصلينا الجمعة بالمسجد

(١) لنقرأ هذا المقطع على سبيل المثال : " خرجوا فسيانات انقليز من المراكب المذكورين أعلاه إلى المنشية دخلوا الشوارع على قولهم منهم واحد طاح به واحد عربي جلد عليه بنيار عطاه عدد٥دورو وطلقه ولن يعرفوه" ص ٥٩٧.

أو هذا المقطع : " بعتوا إلى حوشنا أربع متارد حلاوات وحولي صادة وحولي بالفضة سماوي وكردية وسوابيت حنة" ص ٦٤٠. وقد احتاج المحققان إلى إحدى وأربعين صفحة لوضع معجم للألفاظ التي يعسر فهمها في هذه (اليوميات) إضافة إلى الشروح المسهبة على المتن ذاته .

(٢) انظر في هذا :

كتاب (ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات) للدكتور محمد يوسف نجم والدكتور إحسان عباس.

(٣) عبد الله بن محمد أبو سالم العياشي(توفي١٠٩٠ هـ)الرحلة العياشية. المصدر السابق، ص٢٠٧.

(٤) عن هذا الشيخ الصوفي العالم وعن حياته وآثاره العلمية وطريقته الصوفية انظر للكاتب: أحمد زروق والزروقية .

الجـــامع وهو الذي كان الشيخ يصلـــي فيه، وخطب إمام المسجد من ورقـــة، وليته أحسن القراءة منها، فإنـــه كـــان يتوقف حتى في آيـــات مـــن القـــرآن العظيم، وأسفت لذلك المكان مع شرفه بجوار الشيخ وكونه واسطة البلد كيف يسند الأمر فيه إلى غير أهله ويوضـــع في غير محله، ولله الأمر مـــن قبـــل ومن بعد). وإذا كان هذا الخطيـــب لا يحسن القراءة حتى في آيات القـــرآن العظيم فكيف الحال عند عامة الناس ؟

لقد كانت الأمية ضاربة أطنابها بشكل مفجع، وطبيعي أن تنحدر الدارجة تبعًا لذلك. وحتى عهد قريب كانت الأميـــة سمة المجتمع الليبي ، ويذكر الكـــاتب أنه لم يكن في ليبيا كلها يـــوم أعلـــن استقلالها سنة ١٩٥١م ســـوى عـــدد أصـــابع اليد الواحدة من خـــريجـــي الجامعات (من مصر وإيطاليا) ولم تكن ثمة مدرسة ثانوية سوى واحـــدة فـــي طرابلس، ولا مدرســـة ابتدائيـــة فـــي منطقة مصراته (يقدر اليـــوم عـــدد سكانها بحوالي نصف مليون نســـمة) إلا واحدة. والكاتب نفسه كـــان فـــي الدفعة الأولى التـــي حصلـــت علـــى الشهادة الإعدادية، ثم الثانوية العامـــة، اللتين أنشئتا أول مرة في جيله (*).

هذا كله أدى إلى (تـــدرُّج) العاميـــة الليبية، أي أن تصبح دارجة ففســـدت الألسنة حيـــث تكـــثر فيـــها الألفـــاظ الأجنبية بشكل ملحوظ وتحرف الألفاظ العربية الفصيحة حتى لاتبيـــن نطقًـــا ودلالة، مما جعل هذه اللهجة تبدو غير مفهومة كأنها) (رطانة) .

في الصفحات التالية بعض أمثلة من الدخيل الذى صار جزءًا لاتســـتبيـــن

(*) يختلف الوضع اليوم تمامًا بعد مرور نصف قرن إذ تبلغ طاقة استيعاب من هم في ســـن الدراسة ١٠٠% ولاتخلو قرية من مدرسة، وعدد المدارس الإعدادية والثانوية لايقـــع تحـــت حصر. ويكفي القول إن في ليبيا اليوم ١٤ (أربع عشرة)جامعة بكلياتها المتعددة في شـــتى مجالات التخصص. ويبلغ الطلاب المسجلون في الجامعـــات لســـنة ١٩٩٨-١٩٩٩م نحـــو ١٦٥,٠٠٠ طالب-عدا الآلاف الذين تخرجوا منذ إنشاء نواة (الجامعة الليبية) ســـنة ١٩٥٤م في بنغازي (كلية الآداب والتربية ، ثم كلية الاقتصاد والتجارة) .=

عجمته في هذه اللهجة ولايدري أغلب أهلها أنه دخيل، بحيث صار يجري على الألسنة مألوفًا ولايفكر الناس في تعريبه إلا إذا حسبوه من العاميّ الدارج وأرادوا الحديث بالفصحى. أما الدخيل الواضح فأمر آخر صار أهل ليبيا يتجنبونه ويبحثون عن لفظ عربي يستبدلونه به، وهو مايخص شأن التعريب العام.

الدخيل :

تحوي الدارجة الليبية نوعين من الدخيل:قديم وحديث.وبعض هذا الدخيل صار من صلب اللهجة، ولا يفطن إليه إلا بالتمعن الطويل ، وهذا هو الذى يعنينا هنا، وبعضه يسهل التعرف عليه بيسر لوضوح عجمته(*)

الدخيل القديم :

من الدخيل القديم ما يرجع إلى عهود اليونان والرومان، وبعضه جاء من لهجات عروبية غير العربية العدنانية. من أمثلة ذلك :

من اليونانية:

(جادور)–(حصان ، فرس). يونانيته gaidour (os) بمعنى(حمار) .

(كوتي)–(صندوق)[1]يونانيته(s) Kivoto.

(قلعاوي) –(البطيخ الأصفر، يدعى في بعض البلدان العربية : شمام) [2] هو

=ولايكاد يوجد أمي واحد في من هم تحت سن الثلاثين، كما أن نسبة تعليم المرأة تعتبر نسبة عالية جدًا مقارنة بمجتمعات أخرى .

(*) يرى الكاتب أن عددًا كبيرًا مما يسمى"الدخيل" هو في أصله البعيد عربي الأثلة استعجم حين "اقترضه" الآخرون فاليونانية gaidouros نجدها في مادة (حضر) العربية بدلالة الحصان. .Konido, في مادة(قنط) ومنها: القنوط = اليأس التام.وهكذا. ولكن هذا موضوع آخر يعكس الآية إذ يجعل "الدخيل"عربيًا دخيلاً في اللغات الأخرى، عاد إلى العربية محرفًا !

(١) كلمة (صندوق ذاتها يونانية وهي ذات صلة بـ sandalon(خشب / شجر الصندل)ويقال إن اسم " الكويت " تصغير لـ " كوتي " التي صار معناها " قارب " وفي اليونانية Kivotos tou nou noe (سفينة نوح). ويقال إن "قارب" هي الأخرى يونانية" Karabi" لأن أهل الكويت كانوا معروفين باستعمال المراكب في الصيد، والتقاط اللؤلؤ خاصة !

(٢) "الشمام" في ليبيا بطيخ أصفر صغير الحجم يشبه الحنظل، إلا إنه حلو. ولا صلة للقلعاوي بالقلعة . هذا يشبه ما في الجزيرة" خربز " نجده في اليونانية " Karbouzi ".

في اليونانية: Kolokufi (قنط)-(ربط بقوة) في اليونانية Konido (ربط، حاك، شبك) قارن الإنجليزية Knot .

من اللاتينية :

(بيثر) (الياء ممالة، وتنطق الثاء تاء مثناة في بعض المناطق. ضرب معين من التين)،هو من اللاتينية bifer (الذي يطرح ثمره مرتين في السنة، كما هو المعروف عن هذا النوع من التين حرفيًّا: يجلب، يحضر، يحمل، مرتين).

(إيقس)(القاف معقودة. تقال للحصان كي يقف، وفي البربرية: حصان) . في اللاتينية equs (حصان).

(ارميكي)(الياء ممالة =يتكلم بلغة غير مفهومة) في اللاتينية(s)Aramicu= آرامي، لاتفهم لغته .

(سناري) (في بعض النطق: اسْفِنّاري، سفراني)-(نبات الجزر) في اللاتينية syna-ro (s) .

من الدخيل العبري :

(خنّاب)-(لص[1] ،سارق.والمصدر: خنبة، والفعل: يخنب) [2] في العبرية: "خنب". (مزّال)(حظ، سعد. يقال: طاح مزّاله، أي : كان سيء الحظ) في العبرية: مزّال[3] = حظ .

(بنيم)-(حجارة،أحجار.والمفرد: بنيمة) في العبرية : بنيم [4] (صيغة الجمع)= أحجار .

(١) يذهب بعض الباحثين إلى أن العربية "لص" معربة عن اليونانية" les (tos)" .

(٢) يبدو أن العبرية"خنب" تكافيء العربية "خلب"أو"كلب" قارن الإنجليزية Klephty وهي من اليونانية. وقد سرى لفظ" كْلفِتي" في الدارجة الليبية بمعنى"سارق" في الأربعينيات نتيجة وجود عساكر الاحتلال البريطاني وقواعده. لكنه انقرض الآن وبطل استعماله .

(٣) تقابل العربية"منزل" وذلك لأن الحظ مرتبط في التصور التقليدي القديم بمنزل (برج، أو نجم) الإنسان يوم ولادته. ومن هنا جاء التعبير العربي" الطالع" (حسن الطالع /سوء الطالع) أى طلوع النجم يوم ولادة المرء .

(٤) في العروبية العتيقة يؤدي الجذر" ب ن" معنى الحجرية. في المصرية القديمة"ب ن" (حجر) وتضاعف"بن بن"(مسلة حجرية/رمز عبادة الشمس) قارن : بنية إبراهيم(اسم للكعبة=

من الدخيل البربري:

كثير جدًا من المفردات في الدارجة الليبية جاءها من البربرية، مثال ذلك: (بازين)-(أكلة تشبه العصيدة، قبيبة من العجين المطبوخ حولها المرق). (تفونة) - (سمينة، في البربرية) (تافوناست) =(بقرة)على التشبيه . (ساقم)-(مغرفة للطبيخ) . (سبسي)-(لفافة تبغ،دخينة،"سيجارة"). (سورية) - (قميص). (فكرونة) - (سلحفاة) . (ترفاس) - (كمأ) .

من الدخيل السرياني :

نلاحظ تأثير السريانية في التعريف (اللواحق بصفة خاصة)أكثر منه في المفردات.

في الدارجة الليبية تزاد الواو والنون للتصغير، فيقال :" صغيرون"(صغير)، "كليبون"(كليب-تصغير المصغر)، عفريتون (عفريت) وحتى كبيِّرون (تصغير "كبير") ظرفونة(وعاء صغير من سعف النخل، ظرف مؤنث "ظرفون").

وتحفون(من "تحف" ،بمعنى" تحفة"، طرفة)،زعبون (مبدلة الجيم زايًا من "جعبون"مقلوب"عجبون"-من العجب)[1] وتزاد السين في آخر بعض الكلمات من مثل :

(كرموس)-(كرم،وتعني شجرة التين)[2]

(فرطاس)- (أقرع) [3]

=المشرفة)ومنها كذلك " بن (ابن) بمعنى "ولد" كأن الوالد يبنى ولده وتبدل النون راء"ب ر " في عدد من اللغات العروبية ونرى أن أحد الأسماء الحسنى (البارى / البارئ) بمعنى الخالق من هذا المأتي، ومنه (البرية) (الخلق / المخلوقون)...إلخ .

(١) قارن الدارجة المصرية: يتعاجب /معجباني .

(٢) نفس التسمية في تونس، وفيها، كما في ليبيا وبقية أقطار المغرب العربي الكبير، يدعى شجر التين" كرم" وثمرته" كرموس" فى حين أن الكرمة شجرة العنب في الفصحى. ويبدو أن التسمية جاءت من أن الشجرتين كلتيهما فيهما ورق كثير يُظل (يكرم)ماتحته، فاشتركتا في التسمية. أما السين في كرموس فمزيدة ربما من السريانية للتصغير .

(٣) لكن قارن مادة" فرطس" في (اللسان) : فرطيسة الخنزير وفرطوسته: أنفه. وأنف فرطاس: عريض. ربما كان للشبه في زوال الشعر مابين رأس الأقرع والأنف.

(قطّوس)(*) (قط ، هرة، تطلق على المذكر والمؤنث وتؤنث أحيانًا : قطوسة،والجمع: قطاطيس وقطاطس).

ملاحظة :

من الغريب أن يلاحظ المرء أن عددًا كبيرًا من ألفاظ مايدعى (اللغة السرية)أو (اللغة الخفية) أعني لغة التعبير عن الأعضاء التناسلية والعورة، يرجع إلى لغات مندثرة كالأكادية والسومرية، وهى ظلت ألفاظاً مطمورة متداولة متوارثة، جيلاً بعد جيل، ولعل عدم تقييدها هو الذي حافظ على وجودها بدلاً من أن تتعرض للاندثار، وهذه ، في حد ذاتها، مسألة في حاجة إلى درس وبحث، إذ ما الذي جاء بهذه المفردات الخاصة جدًّا من أقصى المشرق إلى أرض المغرب لتظل بقية من تلك اللغات المنقرضة مستعملة حتى اليوم؟ كما توجد مفردات عروبية قديمة، من مثل:(زقطي) - (حاذق، ذكي)، وهي في الأكادية (زقاتو) وكلمة (تُكاميَّة) (عقدة " الجرد " اللباس الوطني الليبي، على الكتف اليسرى).

في الكنعانية (ث ك م)-كتف.

الدخيل الحديث :

جاء في أغلبه جراء الغزو والاحتلال اللذين تعرضت لهما ليبيا من القوى الاستعمارية المختلفة، فقد احتلت البلاد من قبل الأتراك العثمانيين مرتين لمدة طويلة، كذلك احتل الأسبان طرابلس نحو عشرين عامًا، ثم فرسان القديس يوحنا، واستعمرها الإيطاليون من أوائل القرن العشرين حتى أواسطه، واحتل الفرنسيون جنوبها بعد الحرب العالمية الثانية، أما البريطانيون فكانوا في إقليمها الشرقي، كما كانوا يشاركون الأمريكان احتلال إقليمها الغربى .

هذه أمثلة مما دخل اللهجة الليبية

(*) من هذا تكون دخيلة من اللاتينية "gattus" (هر /هرة) قارن الإيطالية "gatto " والفرنسية "chatte" والإنجليزية " cat" .

الدارجة وصار جزءًا منها :

الدخيل التركي :

نلاحظه في مجالين أساسيين: الطعام والمطبخ وأدواتهما، ثم الثياب وما يتصل بهما، مع بعض المفردات القليلة في ما يتعلق بأثاث المنزل[1]

في الطعام والمطبخ :

كيما، ضولمة، براك، بوريك، طباهج، كفتة (كلها أسماء أصناف من الطعام).طاجين، طاوة، بكرج، سزوة، كاشيك، كوريك، كوهان، فنجال (أدوات مطبخ).

في الثياب: ترليك (حذاء نسائي)، تستمال (عصابة رأس)،كردان (حلية من الذهب)، شخشير (جورب- فارسية)، كندرة (حذاء رجالي)، كادار (حذاء عسكري)كلباك (غطاء للرأس).

مفردات أخرى في الحياة العامة:

شيشمة(حنفية، صنبور)، كشلة (معسكر، قلعة)،مندار(فراش للجلوس. في الدارجة المصرية : شلتة) ، شيشة (قنينة)، شيش (زجاج)،رقيلة (نارجيلة) بظله (نتن ، سافل) .

من الدخيل الإسباني :

الغريب أن تأثير الإسبانية يكاد أن يقتصر على تسميات أوراق اللعب (تدعى في الدارجة الليبية: كارطة، والفعل: يكرِّط=يلعب الورق)من مثل: رَيْ (الملك/في الدارجة المصرية: الشايب) Re .

كاوان(الولد) في الإسبانية cabalero (فارس)[2] .

موجيرة(البنت)في الإسبانيةmujera .

والأعداد :

لاص (الأول، واحد) .

(١) نلاحظ أن لهجات أخرى مختلفة تشارك اللهجة الليبية هذه الأسماء، لاشتراك الأقطار العربية في وقوعها تحت السيطرة التركية. وما أقدمه هنا مجرد أمثلة فقط .

(٢) لأن الصورة القديمة على هذه الورقة كانت صورة فارس يمتطي حصانًا .

دوس (اثنان) .
تريس (ممالة. ثلاثة).
وهكذا :كواترو، شِنْكوِي، شيش(ممالة)
لكن السبعة تظل (سبعة). ثم الألـــوان ديناري، اصباطة، بصطـــون، كُبّـــي. وأسماء الألعـــاب: رونـــدا، بازقـــة، اشُكبَّه..إلخ .

ونظرًا لقرب الإسبانية والإيطالية فإن بعض المفردات هنـــا مشـــتركة بيـــن اللغتين اللاتينيتى الأصل .

من الدخيل الفرنسي:

رغم أن الفرنسيين لم يحتلوا ســـوى الإقليم الجنوبي من ليبيا (فزان) ولفترة قصيرة نسبيًّا(١٩٤٥-١٩٥٦)وظلـــوا معسكرين في عاصمته(سبها)فإن عددًا من الألفاظ الفرنسية دخل اللهجة الليبية ربما عن طريـــق اختـــلاط الليبييـــن والتونسيين. من ذلك :

زوفري (سوقي) [1]
إمريقَل (الياء ممالة والقاف معقـــودة) "مستريح. هـــانيء. دون مشـــاكل"[2]
Reglaire يقاجي (القـــاف معقـــودة. "يراهن" /يخاطر). gager.
يدّمدر (ينام) dormir (وفي الإيطاليـــة dormire).
كرفي (سخرة) corvee.

نلاحظ هنا أيضًا أن هـــذه المفـــردات موجودة في الإيطاليـــة، لقربـــها مـــن الفرنسية .

من الدخيل الإنجليزي :

عرفت الإنجليزية بعد الحرب العالمية الثانية بانتهاء الاحتلال الإيطالي وبداية

(١) هناك تعبيران آخران:" سفتول" -والفعل: يسفتل. وهو ذو صلة بينة بالعربيـــة(ســـفل): سافل، سفلة. و" عسكر سوسة" ويجمع: عساكر سوسة و"سوسة" هذه مدينة في تونس كما أنـــها بلدة في الجبل الأخضر في ليبيا. وليس من المعروف إلى أي"السوستين" ينسب هـــذا العســـكر (العسكري) العابث. أما " زوفري" فأصلها Zouave Quvrier (عمل زواوة) وزواوة قبيلة فـــى الجزائر كان بعض أفرادها في الجيش الفرنسي.

(٢) هناك تعبيرات أخرى من مثل" امبحيح" (متبحبح)، امربّخ (من العربية" ربخ = استرخى) "زابط" (قارن الدارجة المصرية" مزأطط") ،"امّفرشك".ويقال : فرشكوز، والاسم :تفرشيك. ربما من الإيطالية fresco قارن الإنجليزية fresh .

تعليم تلك اللغة في المدارس. ومنذ ذلك الحين دخلت مفردات إنجليزية في صلب اللهجة الليبية وصارت تتداول على ألسنة العامة، منها على سبيل المثال:

كنصل (قاطع، امتنع عن الحديث أو اللقاء مع غيره) .

وتفعّل : يكنصل. في الإنجليزية CANCEL .

المنقيط(بقاف معقودة. بمعنى: البوابة الرئيسية) من الإنجليزية MAIN GATE (بوابة قاعدة جوية على مشارف طرابلس الشرقية) .

يبلف(يكذب، يبالغ في ما يروي). الإنجليزية pluff .

ورشة (محل العمل الصناعي أو الصيانة) WORKSHOP .

كلفتي (لص) KLEPHTY .

الدخيل الإيطالي :

بدأ الاحتلال الإيطالي في ليبيا سنة ١٩١١ وانتهى سنة ١٩٤٣م ورغم أن سيطرة الاستعمار الإيطالي لم تكتمل، بسبب المقاومة العنيفة المستمرة التي جابه بها الليبيون الغزو الاستعماري، إلا في سنة ١٩٣١م بإعدام شيخ الشهداء عمر المختار ، فإن تأثير اللغة الإيطالية في اللهجة الليبية كان شديدًا لعاملين : أولهما- أن الإيطاليين فرضوا استعمال لغتهم بالقوة في جميع مناحي الحياة إبان حكمهم ومنعوا التعليم بالعربية إلا في "الكتاتيب" الأهلية التي كان عملها يقتصر على تحفيظ القرآن الكريم . وثانيهما – أن جالية إيطالية كبيرة ظلت في البلاد تسيطر على جوانب كبيرة من الحياة العامة في التجارة والصناعة والمصارف والمستشفيات حتى سنة ١٩٧٠م يوم طردوا جماعيًّا بفعل قيام الثورة، وقد كان من النادر جدًّا – في جيل الكاتب – من لايمكنه التفاهم، ولو بأقل مستوى، بالإيطالية، وبذا دخلت مفردات إيطالية كثيرة اللهجة الليبية وصارت جزءًا منها تستعمل دون الانتباه إلى أصلها حتى اليوم –

رغم مرور ثلاثة عقود من التعريب المتواصل، مع ملاحظة أن عدداً هائلاً من المفردات الإيطالية بطل استعماله بفضل التعريب ولكن عدداً آخر ظل مستعملاً مفعلاً ومصرفا..دون حرج . من ذلك مثلاً:

يفلتش (يستعمل إحدى إشارتي الدوران الجانبيتين في السيارة).

يدّرس (يوقف السيارة في مكان ما، الدارجة المصرية" يركن ") .

(يسمن الخروف ونحوه).

يمشكي(يخلط أوراق اللعب، وتستعمل مجازاً كذلك) .

يكورب (ينعطف في الطريق وتستعمل مجازاً) .

يزبندي (ينحرف عن الطريق).

يبردي (لهواء إطار السيارة. الدارجة المصرية " ينفس ") .

يتعفلق (يغضب كدراً. الدارجة المصرية: يتحمق، يتحمئ) .

زقرلّو (صرصار).

ازنيلّو (شاب رخو)

قاقابوندو (أفّاق).

طاولة (منضدة).

ستوفّأ (موقد).

بريزه (قابس النور الكهربائي في الجدار. الدارجة المصرية " كوبس ").

سبينه (" وصلة" النور القابسة)

آنتينّا(هوائي البث الإذاعي واللاسلكي).

بومبا (مضخة).

الدارجة تتفصح :

يبدو للدارس أن ثمة تطوراً مذهلاً في الدارجة الليبية خلال العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة من هذا القرن الذي شارف على نهايته، في اتجاهين؛ التخلص من الدخيل واستعمال الفصيح بدلاً من الحوشي أو الغريب. وكان هذا بفضل جملة عوامل منها:

١-انتشار التعليم بالعربية بدءاً من سنة ١٩٤٣ (انتهاء السيطرة الاستعمارية الإيطالية) .

٢-اختلاط عرب ليبيا بإخوتهم العرب الآخرين، وبخاصة عرب مصر، عن طريق سفرهم إلى مصر

(وكانوا محرومين منه أيام الاحتلال) ومجيء أعداد وافرة من المدرسين المصريين للتعليم في المدارس الليبية، إلى جانب ورود الصحف والمجلات وسماعهم الإذاعات، ورؤيتهم أشرطة الخيالة (السينما) التي كانت تستعمل اللهجة المصرية بمفردات عربية الأصل فوجد فيها الليبيون عوضًا عن الإيطالية.

٣-كراهية الليبيين للاستعمار الإيطالي الذي فرض عليهم لغة غير لغتهم ونكل بهم وقتل نصفهم وشرد ربع سكان البلاد فصاروا لاجئين في الأقطار المجاورة .

٤-وهذا هو العامل الأهم : قيام الثورة ١٩٦٩م المؤمنة قيادتها إيمانًا مطلقًا بضرورة سيادة العربية على المستويين العام والخاص .

التعريب العام :

بدأت عملية التعريب العام منذ الشهر الأول لقيام الثورة الليبية. ففي جريدة (الثورة) بدأت تظهر على الصفحة الأولى منها تعليمات محددة بأنه يمنع استعمال المفردات الأجنبية في الأوراق الرسمية منعًا باتًّا وأن من يخالف ذلك سيتعرض للعقاب. كما صدر الأمر الفوري بمحو أية كتابة على اللافتات والإعلانات بغير العربية، واستبدال التسميات العربية بالتسميات الأجنبية للمحلات والمتاجر والمقاهي والصيدليات وما إليها بسبيل. وفي الصفحة الأولى من جريدة (الثورة) التي صدرت بُعيْد تفجر ثورة الفاتح كانت تنشر جداول بـ"قل"و"لاتقل" : قل (مصرف) ولاتقل (بنك) . قل (هاتف) ولاتقل (تليفون). قل (بريد) ولاتقل (بوسطة).قل (رصيف) ولاتقل(مرشبيدي). قل (مطلبة) ولا تقل (فاتورة). قل (خيالة) ولاتقل(سينما) قل (دراجة) ولا تقل (بشكليط) قل (صيدلية) ولاتقل (فرماشيا) . قل (مستشفى)ولاتقل (سبيتار).قل (قلم) ولاتقل (بينا) .. إلخ وكان عدد قليل من الليبيين يعرفون

صاحب هذه "التعريبات " .

وقد استمر تيار التعريب سنوات طويلة حتى بات الأمر مألوفًا فى يومنا هذا فلا تجد في طول البلاد وعرضها مظهرًا واحدًا من مظاهر اللغات الأجنبية على الإطلاق، وبلغ أمر التعريب العام مداه بإبطال استعمال أي حرف أعجمي في الأوراق الرسمية حتى تلك الموجهة إلى السفارات والشركات الأجنبية ذات الصلة بليبيا، وكذلك في جوازات السفر الليبية التي كانت مكتوبة بالعربية فقط، وطلب من أي أجنبي يبغي دخول البلاد أن يكون جواز سفره مكتوبًا بالعربية إلى جانب لغة بلاده، ثم سهل الأمر بقبول ملصق بالجواز رسمي يحمل" ترجمة" عربية لما يحويه من معلومات وبيانات.

هذه السياسة الحازمة يسندها قرار ثوري حاسم أثمرت بصورة تبعث على الإعجاب؛ فقد صار من المخجل أن ينطق الليبي اليوم لفظًا أجنبيًا يدري أنه أجنبي، سوى ما تسرب إلى اللهجة وصار جزءًا منها دون أن يفطن إلى مصدره. فلا أحد يقول (تليفزيون) مثلاً إلا ويشعر بالحرج لأنه نسي أن يقول(الإذاعة المرئية) أو (المرئية)، أو يقول (ميكروفون) بدلاً من (ناقل الصوت) أو (مكبر الصوت) حسب الحال . بل إن التعريب بلغ الفلاحين الذين يقولون الآن (مضخة) الماء بعد أن كانوا يقولون (بومبا). وتسمع بائع الفاكهة يسمي نوعًا من البرتقال (الحسناء) بعد أن كان يدعوها (بيلادونا) وهي الإيطالية bella donna (حرفيًّا : السيدة الجميلة = الحسناء) ولم يعد تلميذ واحد يستعمل (متيتا) أو (قوما)بل(ممحاة) أو باللهجة (محاية)، أو (بادجيلا) فيقول (صحيفة.) وبعد أن كان يسمى المدرس (مايسترو) صار يدعوه (الأستاذ) . وفي المستشفى (الممرضة) وليست (السوريلا)و(الإبرة) وليس (الشرنقة) و(الشاش) وليس (الفاشا)،و(المرهم) وليس (البوماطا) . وليس من أحد

اليوم يقول (اتريك) وإنما (الكـــهرباء) ولا تسمع (سيقاريا) أو (لفندريـــا) أو (كافتريا) ونحوها، وإنما هي (محـــل نجارة)و(مغسلة) و(مقهى) .. وهلـــم جرا .. وإن ظلت بعـــض المفـــردات مستعملـــة مثل (لامبا) التي لم تجر (مصباح) بدلاً منها على الألسنة .

الملاحظة الغريبة فعلاً تتضح فـــي مجالين: المجال الرياضي، حيث يبـدو التعريب العام شاملاً، فقد انتفت تمامًـا تسميات، فى لعبة كرة القـــدم مثـــلاً، كانت بالإيطالية ثم بالإنجليزية لتتعرب تعربًا كاملاً، كذلك الأمر فى تســميات الألعاب الأخرى. ولعل السبب يعـــود إلى أن هذه التسميات والمصطلحـــات الرياضية منتشـــرة علـــى صفحـــات الصحف وفي الإذاعات، فكانت هـــذه الوسائل الإعلامية أداة لنشر تعريبـــها بشكل واف بين الشباب. أما المجـــال الثاني فـــهو مـــا يتعلـــق بالســـيارات وتسميات أجهزتها المختلفة حيث أخفق التعريب هنا إخفاقًا تامًّـــا، رغـــم أن كتيبات التعليمات الخاصة بالســـيارات المختلفة، وهي مستوردة كلها، مكتوبـة بالعربية بقرار، ولعل السبب هنا راجع إلى ضيـــق نطـــاق اســـتعمال هـــذه المصطلحات والتسميات في محـــلات صيانة السيارات. لكن كيف نفســـر أن المفردات الأجنبية (إيطالية في الغالب) لاتزال على الألسنة؟ فـــلا أحـــد – إلا النادر – يقول (العادم) بل(مرميتـــا)، ولا(الكابح) بل (فرينو) ولا (مبدال) بـــل (مارشـــا) ولا (مقـــود)بـــل (دومان)لا (إشارة جانبية) بل(فليتشا)، ولا(إشارة توقف) بل (صطـــوب) ولا (كابح يدوي) بل (فرينو مـــــانو) ولا (تأخر) بل (مارشا انديترو،كسكسة في اللهجة المصرية). صحيح أن الليبيـــن يسمون المصابيح (فنارات) ويقولـــون (مساحات) مثلاً لماسحات الماء عـــن زجاج السيارة الأمامي، لكن مفـــردات أجزائـــها الداخليـــة مـــن مثـــل (بونتينـــــي)و(رادينـــــــاتوري) و(كاربوراتوري)و (بومبا) وغيرهـــا

هي المستعملة وإن كانوا استعملوا "الشمعة"تسمية لشعلة الاحتراق ويجمعونها على (شماعي) بدلاً من شموع أو شمعات.

ولايمكن تفسير هذه الظاهرة إلا بكون الإيطاليين – قبل طردهم سنة ١٩٧٠م – كانوا هم أصحاب محلات صيانة السيارات وإصلاحها قبل أن يحل الليبيون محلهم، فظل ما يتعلق بها إيطاليًّا قحًّا، أو محرفًا، ربما لضيق نطاق استعمال مصطلحاته فنيًّا وعدم تناول وسائل الإعلام المؤثرة في الناس لها على وجه العموم.

إذا كان التعريب قد جرى بهذه القوة والسرعة لما هو معروفة عجمته فإن الرغبة الشديدة في تفصيح اللهجة عند الليبيين أدت إلى إحلال مفردات يرون أنها الأفصح بدلاً من مفردات أخرى كانت دارجة ترجع أصلاً إلى لغات أوربية أو التركية أو إلى اللهجة البربرية أو هي عربية قديمة أهملت لحسبانها غير فصيحة . وهذا تطور ملاحظ محمود نتيجته اقتراب الدارجة الليبية من أخواتها – في المشرق خاصة – وقلة" الغريب" على الأسماع فيها. في الجدول التالي بعض الأمثلة:

المفردة المهملة	البديل الغالب اليوم
حُكة(عربية قديمة : حُقّ)	علبة
فوشيكة(تركية: فشك)	رصاصة
غدرية(من "غدر" العربية)	مسدس
متريوز(إيطالية)	رشاش
كشلة (تركية : قشلاق)	ثكنة
بالاص (إيطالية : بالاسو)	عمارة
شياتة (تركية)	فرشاة(تنطق:فرشة)
صباط (إسبانية)	حذاء
دلمنت (تحريف: ديناميت)	لغم
ترمفي(اسم علامة تجارية)	دراجة نارية

المفردة المهملة	البديل الغالب اليوم
كامبو (إيطالية)	معسكر/مخيم
أسانسير(فرنسية)	مصعد
حسّان(عربية من "حسن")	حلاق
زنفليقة(تركية)	جماعة/مجموعة
يملعق(من" لعق" = لحس)	يليّس (شامية)
بطمة (إنجليزية bottom)	زر
كباسة (مدفن الفضلات)	محل القمامة
نوالة (بربرية: تانوالت)	مطبخ
مفرطة (بربرية: تافراطت)	مكنسة
أروال(بربرية: أروال)	مخزن
مغازة(فرنسية)	متجر
كريولة/براندة (تركية/إيطالية)	سرير
شاطار(تركية)	مشجب

المفردة المهملة	البديل الغالب اليوم
قجر(إسبانية)	درج
زينقو (إيطالية)	صفيح
قداحة(عربية)	ولاّعة
صابون امَسَّك (مُمَسَّك)	صابون وجه
كازوزة	مشروب
يسَّحِّم(يستحم) في البحر مثلاً	يسبح / يعوم
يطوّق(يختال) / طوّاق	يغتر/مغرور
الفقي (الفقيه)	الشيخ/الإمام
قصّ(عملية جراحية)	عملية
طبّاخ(المقصود محل الطعام)	مطعم
بطناجي (بطنجي)	أكول
مرايات (للنظر)	نظارات
شباّحة (مرآة)	مراية
سترة / بسطران	كبّوط /بالطو
سدرية (صدرية)	فرملة

المفردة المهملة	البديل الغالب اليوم
يطوّر/ يحسّن (شعر الرأس)	يحلق
خفية(شرطة سرية)	أمن سري
يسبِّس	يدخن
السلطان	العريس
عساس	حارس
شيشيد (تركية)	مخبز
حمالة (عربية)	شاحنة
كرهبة (كهرباء)	سيارة
بابور (الأصل = بخار) سفينة	باخرة
جردينا (إيطالية)	حديقة
يازيلو (إيطالية)	روضة (أطفال)
برقز (إيطالية)	تقاعد
رومي (عربية نسبة إلى روما)	أوربي
صاقاط (عربية من "سقط")	معوق/معاق
سبسي (بربرية)	سيقارة
روشن (تركية/ فارسية)	نافذة / شباك
بُرّط (بورت)	ميناء

ملاحظة لافتة للنظر:

كثير من المفردات الدارجة، دون اعتبار لأصلها، بطل استعمالها لسبب بسيط هو أن مسمياتها لم تعد مستعملة في الحياة اليومية في ليبيا لتطور الحياة، عامها وخاصها، والجيل الجديد لم يعد يعرفها لأنه لم يعد يسمعها أصلاً، وكثيرًا مايتعمد الكاتب ذكر مفردات كان يستعملها جيله أمام أبنائه (أكبرهم جاوز الثلاثين من عمره) وأمام شبان من الجنسين، بعضهم حضري وبعضهم ريفي، فكانوا يندهشون لسماعها ويسألون عن معناها وقد لايفهمون المعنى لأنهم لايعرفون المسمي. من ذلك مثلاً :

وريتة (حبل قديم متآكل يوقد طرفه فيظل مشتعلاً مدة طويلة لتقبس منه النار).الآن يستعمل الثقاب(يسمي في ليبيا:الوقيد) وصار يدعى، الكبريت - بتأثير اللهجة المصرية أو الولاعة (القداحة) بدلاً من الوريتة (عربيتها: الأريثة التي تؤرث النار).

السقّاطة:(رتاج خشبي للبـــاب مـــن أعلاه، يقفل به من الداخل) حلت محله الأقفال الحديثة المتطورة.

عين الزرزور: (شباك كـــان علـــى الشرفات به ثقوب يرى مـــن بداخـــل الشرفة غـــيره ولا يُـــرى) لـــم يعـــد مستعملاً بسبب تحرر المرأة من قيـــود البيت/السجن وخروجها إلـــى العمـــل والشارع . وفي ميدان الزراعة خاصة أهملت مفردات كثيرة لبطلان استعمال مسمياتها من مثل :

كجرّ (حيث تجرُّ الدابة الحبـــل مـــن البئر وإليها).

دلو(مايُدلى في البئر لاستخراج الماء).

كُرِّيَّه (بكرة الحبل الكبيرة).

ستوكة (بكرة الحبل الصغيرة).

ميدة(جابية صغيرة تستقبل الماء مـــن الدلو).

جناح السانية (أحد جدارين مدرجيـــن يبنيان على جانبي البئر تثبـــت فيـــهما خشبة في وسطها البكرة).

ساروت (مجرى الماء من "الجابية" إلى المزروعات).

ورغم أن أغلب هذه المفردات عربـــي الأصل فقد انقرض، أو كـــاد، لتغـــير وسائل الزراعة والري. وهذا مجـــرد مثال ينطبق على مجالات أخرى مـــن الحياة في ليبيا التي تطورت بصـــورة واضحة، وتبدلت لغتها اليومية بحكـــم هذا التطور اجتماعيًّا واقتصاديًّا .

مما يمكن الحديـــث عنـــه لتفســـير تفصح الدارجة الليبية أمر قـــد يبـــدو بعيدًا عن أذهان غير العرب الليبييـــن، وهو تجربة ناجحة جـــدًّا فـــي هـــذا المجال؛ فقد دأبت الإذاعات المسموعة والمرئية على نقل جلسات (المؤتمرات الشعبية) التي تكوِّن أساس نظام الحكـم في ليبيا وكذلـــك جلســـات(مؤتمـــر الشعب العام)نقلاً مباشرًا في مختلـــف المناطق. وقد تستمر هذه الجلســـات، المذاعة " على الهواء" أسابيع عديـــدة، وكان المتحدثون، باختلاف مســـتوياتهم من التعليم والثقافة ومـــن الجنســـين، يعلمون أن كلامـــهم يســـمع مباشـــرة و"يقيم" من قبل الآخرين، مـــن حيـــث المضمون واللغة على حد سواء .

ومن هنا كان حرص المتحدث على استعمال الفصحى بقدر مـــا أمكنـــه، يدفعه إلى هذا إحساسه بضـــرورة أن يكون حديثه"أفصح" ما أمكـــن، إلـــى جانب التيار العـــام الـــذي يســـتهجن استعمال الدخيل أو الدارج مما يمثـــل ضغطًا اجتماعيًّـــا قويًّـــا، والسياســـة الرسميه التي "تمنع" استعمال الدخيـــل منعاً باتًّا في الإدارات العامة وتعـــاقب مستعمله، وتسعى إلى وضـــع البديـــل العربي مكانه.

هذه السياسة الإذاعيـــة- إن جـــاز التعبير-استمرت منذ نحو ربع قرن من الزمان.وعن سبيلها يلاحظ تطور كبير في الدارجة الليبية نحو الفصحى علـــى ألسنة عامة الناس. كما يلاحظ كذلـــك أن المتحدثين في النـــدوات الإذاعيـــة يحرصون على الكلام الفصيح..وإن لم يعربوا أو خانهم التوفيق في الإعراب والنطق الصحيح، بل إن" المتدخليـــن" في بعض البرامج المباشرة عن طريق الهاتف، وقد لايكونون علـــى درجـــة عالية من التعليـــم، يحـــاولون دائمًـــا التعبير بالفصحى.

والحقيقة أن عرب ليبيا يتأذون كثيرًا من سماع بعض نشرات الأخبار فـــي إذاعات عربية أخرى تذاع بالدارجـــة المحلية، كما يجرحهم حرص إذاعـــات معينة على تقديم برامجها بـــها. وهـــم يزادون غيظًا من سماع" المناقشـــات" العلمية والثقافية والسياســـية تجـــرى بدارجة قطر من الأقطار، ويـــرون أن ثمة "سياسة" وراء هذا الأمر تنحو نحو تغليب هذه اللهجة أو تلك مما يدخـــل في باب (صراع اللهجات) وهو أمـــر بالغ الخطر لعل الأنظار تلتفـــت إليـــه ولعله يناقش باستفاضة وجديـــة فـــي المؤتمرات والندوات (*) .

(*)نلاحظ أن تجربة الديمقراطية الشعبية المباشرة، في ليبيا أفرزت مصطلحات سياسية جديـــدة خاصة بها مثل: الدفع (الترشيح)، التصعيد(الانتخاب)، أمانة اللجنة الشعبية العامة لكـــذا (وزارة كذا) ، الأمين (رئيس اللجنة أو المؤتمر الشعبي أو الوزيـــر)، الفعاليـــات الشـــعبية(المؤثريـــن اجتماعيًا - وتدعى كذلك: القيادات الشعبية)أمانة الاتصال الخارجي(وزارة الخارجيـــة) إلـــى جانب الاسم الرسمى لليبيا (الجماهيرية - نسبة إلى الجماهير) .. إلخ

هناك ظاهرة أخرى في مجال تفصح الدارجة الليبية جديرة بالنظر والاهتمام، بل المتابعة واستخلاص النتائج، أعني لغة الأطفال خصوصًا. فالملاحظ أن هذه اللغة أميل إلى الفصحى. وأدرك شخصيًا أن لغة أولادي تختلف كثيرًا عن لغتي يوم كنت في سنهم وهي أفصح من لغة الكبار بصورة ملحوظة، وإذا كان للتعليم أثره الذي لاينكر فإن السنوات العشر وبخاصة الأخيرة منها كانت ذات أثر أعمق وأوسع جاء من طريق عجيب، أعني مسلسلات مايدعى في ليبيا "الرسوم المتحركة" (في أقطار أخرى: أفلام الكرتون - وهما كلمتان أعجميتان).

هذه الرسوم المتحركة تنطق شخصياتها المحبوبة جدًا بالعربية الفصيحة في حوارها كما أن التعليق المصاحب لها فصيح كذلك. وقد كان لهذا الاتجاه المبارك تأثيره المحمود في تعويد الأطفال المتابعين لهذه الرسوم بشغف زائد النطق بالفصحى ترديدًا لما يسمعون. وكثيرًا جدًا ما أسمع الأطفال يتحاورون - وهم يلعبون- بلغة هذه الشخصيات يقلدونها تقليدًا محكمًا جميلاً. لذا فإن ترجمة بعض قنوات التلفزة العربية حوار هذه الرسوم إلى لهجة دارجة في قطر من الأقطار تدعو للأسف وتجب محاربتها والوقوف في وجهها، ذلك لأنها تغلب لهجة ذاك القطر، أو تحاول أن تفعل، من جهة ، وهي الخاسرة لأن هذه اللهجة قد تكون غير مفهومة في قطر آخر وقد تؤدي إلى تشبث أقطار أخرى بلهجاتها من جهة أخرى، إلى جانب كونها دعوة إلى " تلهيج" اللغة المشتركة مما يؤدي إلى أذى كبير يبعد الفصحى ويغلب اللهجات. والجميع يدركون خطر هذا الاتجاه كما يدركون الأثر الكبير الذي تتركه هذه الرسوم المتحركة في لغة الأطفال.

ليس هذا فحسب، بل إن ثمة ظاهرة أخرى محمودة كذلك يثنى على أصحابها الثناء كله وهى تقديم ما

يعرف بـ" المسلسلات المكسيكية" بالعربية الفصحى، بصرف النظر عن محتواها ومضمونها .

فهي لاريب أدت إلى تغليب الفصحى على الدارجة وكان لها أثر واضح. فهل يمكن أن ننتبه إلى هذا الأمر ؟

هل يمكن أن نسمع ونرى المسلسلات الإذاعية العربية تقدم لنا بلغتنا المشتركة بدلاً من هذه اللهجات المحلية التي يمعن البعض في اختيار أكثر الألفاظ والتعابير غرابةً عند غير أهلها فلا تكاد تفهم؟ ألا ينبغي العمل ، وبقوة، في سبيل (توحيد اللهجات) وتقريبها بعضها من بعض باستعمال (اللغة المشتركة) ميسَّرة بقدر الإمكان إن كنا عاجزين عن (توحيد الأمة) سياسيًّا واقتصاديًّا على الأقل ؟

هذه مهمة العلماء وقضية المؤمنين، وهي أمانة عظيمة لايحملها إلا من أخلص لأمته وصدق في خدمتها حتى تتبوأ مكانتها اللائقة بها تحت الشمس وبين أمم الأرض .

على فهمى خشيم

عضو المجمع المراسل من ليبيا